

بيت المقدس المكان والإنسان

في رحلة

" نيكوس كازانتزاكيس " إليها .

أهمية الرحلة

من الرحلات العالمية إلى بيت المقدس رحلة " الروائي اليوناني الكبير " نيكوس كازانتزاكيس "، وهي تعد أخطر وثيقة يكتبها روائي ومفكر عالمي في أوائل هذا القرن⁽¹⁾ فبين عامي 1926 و 1927 أوفدت صحيفة " الغيتروس لوغوس " الروائي اليوناني الكبير " نيكوس كازانتزاكيس " المرشح لجائزة نوبل عام 1956 ، إلى فلسطين ليسجل مشاهداته في احتفالات عيد الفصح . وقد نشرت هذه المشاهدات في الصحف اليونانية في العام نفسه⁽²⁾ .

وتعدّ هذه الرحلة من أهم الرحلات في العصر الحديث ؛ وذلك لأسباب عدّة، أهمّها :
أولاً: أنّها أنجزت قبل قيام الدولة العبرية بقليل، وقد استطاع الكاتب اليوناني الكبير " نيكوس كازانتزاكيس " اللوج إلى نفسيّات اليهود، وقراءة أحلامهم ومخطّطاتهم . وقد حاول تحذير العرب بصوت عال، قبل أن يعي الفلسطينيون والعرب بخاصة، والعالم بعامة الأهداف الحقيقية لليهود من توافدهم إلى فلسطين بمسمّيات كثيرة.

ورد في التصدير لهذه الرحلة⁽³⁾ : " لقد كانت هذه المقالات والمشاهدات، نبوءة، وإشارة تحذير للخطر القادم، قبل أن تكون مجرّد مشاهدات قام بها كاتب كبير لفلسطين . ففي هذه المقالات، يحاول نيكوس كازانتزاكي أن يطرح نبوءته للقرن العشرين، هذه النبوءة التي جاءت الوقائع لتؤكد صدقها، وتؤكد الفكر النير الطليعي لهذا الكاتب " .

ثانياً: أنّ الأحداث والمشاهدات، التي عرضها لم تكن منفصلة عن الماضي، ولم تكن منفصلة عن وجود اليهود في أوروبا، أما هدفه من هذا الربط، وهذا الاستحضار فهو رسم صورة لمستقبل اليهود .

(1) ينظر ما كتبه المترجمان على غلاف الرحلة .

(2) كازانتزاكي ، نيكوس : رحلة إلى فلسطين ، ترجمة منية سمارة ومحمد الظاهر ، مؤسسة خلدون للدراسات والنشر ، 1989 ، ص 3

(3) كازانتزاكي ، نيكوس : الرحلة ، ص 4 .

ثالثاً: ما تمتاز به الرحلة من جرأة وصراحة وموضوعية منقطعة النظير؛ فهو من القلائل الذين تحدّثوا عن النهاية التراجيدية للحلم الصهيوني، بوصفها حتمية تاريخية، وإن نجحوا في تحقيق كيان ما في المستقبل.

رابعاً : الدقّة في وصف الأمكنة المقدّسة، والتّفاعل الروحي معها، بصرف النّظر عن ديانة أصحابها.

خامساً: لأنّ الشرق بدا عنده مصدر جذب سحري، ومصدر إلهام وإبداع، " فهو كإنسان كريتي، يشعر بصلة القرابة مع هذا الجزء من العالم، ويرغب في أن يؤكّد إيمانه، بأن أجداده، يجري في عروقهم الدّم البدوي"⁽⁴⁾.

ولأهمية حديثه عن اليهود في فلسطين آنذاك، وخطورة نبوءته فيما يتّصل بمستقبلهم القريب والبعيد، نشرت زيارته مفصّلة في كتابه "ترحال" في عام 1927⁽⁵⁾.

لقد نظر إلى هذه البلاد نظرة شاملة، فقدّم رأياً واضحاً في الأمكنة والناس، والفكر الذي يتحكّم في السلوك ويرسم صورة المستقبل المأمول، وقد تطوّرت آراؤه وانعكست تجلياتها في أعماله: "تقرير إلى غريكو" و " الامتحان الأخير للمسيح " و " الوجد اليوناني " و " الحرية أو الموت "⁽⁶⁾.

(4) كازانتزاكي، نيكوس : تصدير الرحلة، ص7.

(5) السابق، ص3

(6) السابق، ص6، وما بعدها.